الجهود الدعوية لعلماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي "دراسة تحليلية" (من القرن الثاني حتى القرن العاشر الهجري)

الباحث: رضا حسن أحمد إبراهيم

الملخص:

هذا بحث تكميلي مقدم لنيل درجة التخصص "الماجستير" في الدراسات الإسلامية، وموضوعها: (الجهود الدعوية لعلماء الأمازيغ في المغرب العربي "دراسة تحليلية" – من القرن الثاني حتى القرن العاشر الهجري).

بدأتُ الحديث في هذا البحث بالحمد والثناء على الله – ﷻ –، والصلاة والسلام على النبيّ – ﷺ–, وبيان أهمية الموضوع, وخطة البحث.

وبعد ذلك انتقلت للحديث عن تاريخ بلاد المغرب العربي قبل الإسلام وبعد دخوله إليها، وعرفت بأشهر علماء الأمازيغ منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الحاضر. ثم تناولت جهود علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي المتعلقة بالدعاة والمدعوين من خلال إعداد الدعاة وتأهيلهم للقيام بواجب الدعوة. إضافة إلى جهود علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي المتعلقة بموضوعات الدعوة، من تقرير مسائل العقيدة، وأحكام الشريعة، والدعوة إلى الأخلاق. والوسائل والأساليب الموصلة لذلك. ثم تناولت خصائص المنهج الدعوي لدى علماء الأمازيغ بالمغرب العربي وأوجه الاستفادة منه.

وانتقلت بعد ذلك للحديث عن خاتمة البحث– وأسأل الله حُسنها –، والتي اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم انتهيت بعمل فهارس عامة للبحث.

Research summary

This is a supplementary research submitted to obtain the ‘‘Master’s’’ degree in Islamic Studies, and its subject: (The advocacy efforts of Amazigh scholars in the Arab Maghreb ‘‘An Analytical Study’’ - from the second century to the tenth century AH).

I began the discussion in this research by praising and praising God – may God bless him and grant him peace, and blessings and peace be upon the Prophet – may God bless him and grant him peace, and explaining the importance of the topic and the research plan.

After that, I moved on to talk about the history of the Maghreb countries before and after Islam, and I became acquainted with the most famous Berber scholars from the Islamic conquest until the present era. Then I discussed the efforts of Amazigh scholars in the Maghreb countries related to preachers and those called by preparing preachers and qualifying them to carry out the duty of preaching. In addition to the efforts of Amazigh scholars in the Maghreb countries related to the topics of advocacy, such as deciding issues of faith, the provisions of Sharia, and calling for morals. And the means and methods to achieve this. Then I discussed the characteristics of the advocacy approach among Amazigh scholars in the Arab Maghreb and the aspects of benefiting from it.

I then moved on to talk about the conclusion of the research – and I ask God for its goodness – which included the most important results that I reached through the research, and then I finished by making general indexes for the research.

Researcher: **Reda Hassan Ahmed Ibrahim**

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على الهادي البشير، السراج المنير، المبعوث رحمة وهداية للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمنذ أن دخل الإسلام بلاد المغرب العربي، أقبل أهلها على الإسلام برضا منهم ورغبة لا إكراه ورهبة، وخرج منهم جهابذة من أساطين العلم كأبي عبد الله الصنهاجي المعروف بابن آجروم، والحسن بن مسعود اليوسي، وأبي القاسم الزياني وغيرهم من علماء الأمازيغ ممن كان لهم أثر بارز في خدمة الفقه واللغة العربية والمحافظة عليها.

وعلى أن جهود هؤلاء العظماء وغيرهم من علماء الأمازيغ لم تكن مقصورة في خدمة الإسلام على ذلك فحسب، فقد كانت لهم جهود بارزة أيضا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله عز وجل وفق ضوابط شرعية وقواعد علمية، حيث اختاروا لدعوتهم أقوم المناهج وأنسب الأساليب والوسائل فأصبحت من أهم المناهج التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها واقتفاء أثرها، من هنا فقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ:" **جهود علماء الأمازيغ الدعويه في المغرب العربي**"؛ بغية التعرف على كوكبة من هؤلاء الأعلام وتسليط الضوء على جهودهم في خدمة الدعوة إلى الله عز وجل.

وتتجلي أهمية هذا البحث: في منزلة علماء الأمازيغ بالمغرب العربي ومكانتهم، وما تميزوا به من صفات أخلاقية كانت ولا زال لها عظيم الأثر في قبول دعوتهم ونجاحها.

أهداف الدراسة: التعرف على أبرز علماء علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي. وتسليط الضوء على جهودهم في إعداد الدعاة إلى الله وتأهيلهم للقيام بواجب الدعوة. وبيان جهودهم في خدمة موضوعات الدعوة سواء أكانت متعلقة بالعقيدة أم بالشريعة والأخلاق. واستنباط أبرز خصائص المنهج الدعوي لعلماء الأمازيع في بلاد المغرب العربي.

الدراسات السابقة: بالرجوع إلى الأقسام العلمية المتخصصة بالجامعات المصرية ومراجعة فهارسها، تبين أنَّ أحدًا لم يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة في رسالة علمية أكاديمية من قبل، إلا أنني وجدت بعض الكتب التي تتعلق بالموضوع بشكلٍ أو بآخر، منها: جهود علماء الأمازيغ في خدمة المذهب المالكي بالأندلس، إعداد/ بودالية تواتيه، مجلة المذهب المالكي، مركز الجنوب للإنماء الثقافي والإنساني، ع ١٥، ٢٠١٢م.

ومنها أيضًا: مكانة اللغة العربية لدى الناطقين بالأمازيغية في بلاد المغرب العربي، إعداد/ الوزير بولمعالي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠١٦م.

منهج الباحث: يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي. وكذلك المنهج الاستنباطي. والمنهج التحليلي. بالإضافة لذلك، فسوف يقوم الباحث بمراعاة الضوابط العلمية والمنهجية في البحث.

خطة الدراسة: تشتمل الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ثم الخاتمة.

المقدمة: وتشمل على: أهمية الدراسة وأسباب اختيارها، وأهدافها، وتساؤلاتها، والدراسات السابقة لها، والمناهج المستخدمة في إعدادها، ثم خطتها.

التمهيد: ويشتمل على: أشهر علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الحاضر.

المبحث الأول: جهود علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي المتعلقة بالدعاة والمدعوين.

المبحث الثاني: جهود علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي المتعلقة بموضوعات الدعوة.

المبحث الثالث: جهود علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها.

المبحث الرابع: خصائص المنهج الدعوي لدى علماء الأمازيغ بالمغرب العربي وأوجه الاستفادة منه.

الخاتمة.

التمهيد

أشهر علماء الأمازيغ في بلاد المغرب العربي

١– يحيى بن يحيى بن كثير: ابن وسلاس بن شملال بن منغايا، الإمام الكبير، فقيه الأندلس أبو محمد الليثي الامازيغي المصمودي الأندلسي القرطبي. مولده في سنة ١٥٢ هـ.

سمع أولا من الفقيه زياد بن عبد الرحمن شبطون ويحيى بن مضر وطائفة ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة إلى المشرق، فسمع مالك بن أنس، وكان مالك يسميه عاقل الأندلس،وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر من الليث بن سعد وعبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب. وإليه انتهت الرياسة بالفقه في الأندلس، وبه انتشر مذهب مالك هنالك، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى المذكور، وتفقه به جماعة لا يحصون[١].

٢– العلامة شيخ النحويين زين الدين، أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الجزائري النحوي الفقيه الحنفي مولده سنة أربع وستين وخمس مئة وسمع من القاسم بن عساكر وصنف الألفية والفصول وله النظم والنثر وتخرج به أئمة بمصر وبدمشق". و ينتسب ابن المعطي إلى منطقة زواوة التابعة لمدينة بجاية الناصرية (الشرق الجزائري)، حيث ولد بظاهرة بجاية سنة ٥٦٤ هـ.

٣– ابن أجروم: أبو عبدالله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي، عرف بابن آجروم النحوي المقرئ الشهير. مولده عام ٦٧٢ ووفاته عام ٧٢٣ بفاس. وأخذ عن أبي حيان وعنه محمد بن علي الغساني وله من غير المقدمة شرح حرز الأماني في القراءات ونظم في قراءة نافع سماه البارع. كان جده داود أول من عُرف بهذا اللقب ومعناه بلغة الأمازيغ (الفقير الصوفي)، صاحب المقدمة المشهورة بـ الاجرومية، وصفه شُرّاح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو. ولد بفاس، توفي في شهر صفر الخير، ودفن داخل باب الحديد بمدينة فاس ببلاد المغرب[٢].

٣– ابن تومرت: هو أبو عبد الله محمد بن تومرت الحسنى، وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس، نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير.

وكان ابتداء أمر المهدى أنه رحل فى شبيبته إلى بلاد المشرق فى طلب العلم. وكان فقيها فاضلا محدّثا، عارفا بأصولى الدين والفقه، محققا لعلم العربية، وكان ورعا ناسكا. ووصل فى سفره إلى العراق. واجتمع بالغزالى والكيا الهراسى، وقيل: لم يجتمع بالغزالى. واجتمع بأبى بكر الطرطوشى بالإسكندرية. وحج ورجع إلى المغرب[٣].

وغير هؤلاء الكثير من الأعلام والعلماء الذين أسهموا في فنون الشريعة، وكانت لهم آثار علمية ودعوية نافعة.

المبحث الأول: جهود علماء الأمازيغ المتعلقة بالدعاة والمدعوين

المتأمل في شعوب المغرب العربي يلحظ أن الشعب المغاربي أمازيغي أصالة ولما أقبل الفاتحون بنور السلام استقبلوه وكانوا له تبعاً واحتضنوا القبائل العربية القادمة من شبه الجزيرة العربية فحلت الديار وسكنت الجوار وكان بينهم مصاهرة ومعاشرة.

وأقبلوا على جوهر الإسلام، وهو القرآن الكريم؛ إذ حفظوه وفقهوه وكانت لهم ريادة في حفظه، وإتقانه، وكان شيوخ المساجد في المناطق الآهلة بالأمازيغ يفسرون القرآن بالأمازيغية في كل ربوع المغرب العربي.

ولعل أفضل شاهد على دور بجاية العلمي الرائد كتاب "عنوان الدراية" لأبي العباس أحمد الغبريني (١٢٤٦-١٣٠٤م) الذي جمع فيه أعلاما كثيرة عاشت في بجاية في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد انتشر الكثير من العلماء في عمق منطقة القبائل حيث أسسوا عدة مراكز للتعليم نذكر منها ناحية أث وغليس التي أنجبت محمد بن ابراهيم الوغليسي (القرن ١٣) الذي تولى الخطابة بجامع القصبة ببجاية واشتهر بكتاباته الادارية والشرعية والأدبية.

كما كانت هناك مؤسسات عدة؛ أنشؤوا المساجد ليقيموا فيها الصلاة، وأنشؤوا المدارس ليعلِّموا فيها الأبناء، وأنشؤوا الأندية ليرفِّهوا فيها عن أنفسهم، وأنشؤوا الجامعات لتتلقف أبناءهم من المدارس، أنشؤوا روابط علمية للأطباء والمهندسين والعلماء والاجتماعيين وغير ذلك في بلاد شتى. أنشؤوا الأوقاف الإسلامية المختلفة.

كما كان للوقف الإسلامي دورًا كبيرا في إعداد الدعاة، ولعل جوهرة الأوقاف في الغرب الإسلامي هو جامع القرويين، الذي يعد من أقدم أوقاف نساء المغرب الإسلامي، والذي وقفته "أم البنين" فاطمة بنت الفقيه عبد الله محمد الفهري القيرواني، الذي توفي وترك لابنتيه مريم وفاطمة ثروة هائلة، أنفقتاها في وجوه البر والخير والإحسان، وكان الشروع في البناء سنة ٢٤٥ هـ/ ٨٥٠ م، وقد لعب هذا الجامع دورًا حيويًا في الحياة العلمية في المغرب، حيث كان به مائة وأربعون كرسيًا علميًا، منها كرسيان اثنان خُصِّصا للنساء[٤]، وقد تخرج عليه عديد من العلماء من الغرب.

المدعوين الأمازيغ في بلاد المغرب العربي:

جاء الإسلام إلى المغاربة، فاختاروه اختيارا تلقائيا، واعتنقوه، بعد أن أدركوا حقيقته وفهموا رحمة توجيهاته، ورسخت مبادئه في نفوسهم، فغير مجرى حياتهم، وفتح لهم آفاق حضارة وثقافة، فتحملوا رسالته، ونهضوا بها بأنفسهم خلال التاريخ جنبا إلى جنب مع العرب.

فأحبوا القرآن وتعلموه وعملوا على حفظه ودرسه لأبنائهم، وحرصوا على تعلم العربية وتعليمها وأحبوا تعلم العلوم الشرعية وأقبلوا عليها، وأسسوا لذلك مدارس ومؤسسات تعليمية وأنفقوا عليها بسخاء، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة عليها، بل وفتح لهم الإسلام طريقا فكوّنوا دولا عظيمة كدولة الموحدين وغيرها مما لم يحظوا به قبل ذلك. ونظموا قصائد كثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة الأمازيغية.

يقول ابن خلدون: " أما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخصال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم، ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد، والصبر على المكاره والثبات في الشدائد"(٥).

الأمازيغ اتخذوا عاداتهم العريقة روافد كيفوها مع متطلبات الإسلام فاندمجت . إلى درجة الانصهار . التعاليم الإسلامية مع العادات الأمازيغية، فزاد الدين رسوخا في كل مجالات الحياة، إذ لم يقتصر على الانتقال بالترجمة من الكتب العربية إلى الأمازيغية وحسب، بل أُدمج في العادات، وبها تهيأ لإغناء المعجم الرمزي، فـ...الأمازيغ لم يفهموا الإسلام بكيفية عميقة إلا عن طريق الترجمة من العربية، كما أنهم يتخذون أنواع العادات والفنون والاحتفالات وسائل للتلقين والاستيعاب.

المبحث الثاني: جهود علماء الأمازيغ المتعلقة بموضوعات الدعوة

أولا: جهود العلماء الأمازيغ في تقرير العقيدة:

أقبل الأمازيغ على العقيدة الإسلامية، واعتنقوها وتمسكوا بها ولم تثنهم عنها أي دوافع أخرى، وكان لهم جهود بارزة في هذا الجانب، وقد ألفوا فيها كتب عديدة، منها:

''كتاب نَتْاوحيد'' ''باب التوحيد'' في أول كتاب الحوض لأكبيل الهوزالي. وأكثر من منظومة أُلفت في هذا الموضوع بالإضافة إلى عقيدة ألفها ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين.

وكُتبت عدة مؤلفات وقصائد في التصوف بالأمازيغية، وترجم الحاج علي الدرقاوي الإلغي ''الحكم العطائية'' نظما، وترجم محمد المختار السوسي ''الأنوار السنيّة'' لابن جزي، ترجمه لإحدى أخواته، وترجم الأربعين النووية لأخته آمنة سنة ١٣٥٧هـ.

وترجم الحاج عبد الله الدرقاوي الإلغي ''رياض الصالحين'' في أربعة مجلدات (أكثر من ألف صفحة).

ثانيًا: جهود علماء الأمازيغ في تقرير أحكام الشريعة:

كان تقرير أحكام الشريعة الإسلامية في القطر جميعه على المذهب المالكي. فالمذهب المالكي هو المذهب السائد في هذه البلاد وفي شمال وغرب إفريقيا منذ وصوله إلى المنطقة وحتى اليوم. وقد وصل إلى شمال إفريقيا علي يد أسد بن الفرات المتوفى ٢١٣هـ وعبد السلام بن سعيد الملقب ب سحنون التنوخي المتوفي ٢٤٠هـ، أما في المغرب الأقصى فقد وصل على يد أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي المتوفى ٣٧٥هـ، وكان أهله قبل ذلك على المذهب الحنفي[٦].

واختص مسلمي هذه البلاد بتنويع الدراسات الشرعية على مر العصور، فاجتهدوا في علوم متنوعة منها "قراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة"[٧].

ويذكر ليفي بروفنسال: " أما فيما يتعلق بالعلوم الدينية، كقراءة القرآن ودراسة التقاليد الإسلامية والنظرية والفقهية فإن العلماء قد ساهموا دون توقف على مر جميع عصور إسبانيا الإسلامية في المجهود العظيم المبذول في تفسير القرآن والشروح الفقهية، ذلك المجهود الذي لم تنكر فاعليته أبدا في المغرب ولا في المشرق على حد. سواء"[٨].

ثالثًا: جهود علماء الأمازيغ الدعوة إلى الأخلاق:

اتسمت بلاد المغرب العربي بالمنهج الصوفي، وهو منهج عقدي في الأصل، ولكنه يدعو إلى التحلي بالأخلاق الكريمة التي جاء بها الإسلام.

وقد شاع وانتشر المذهب الصوفي في عصر الدولة العباسية، لاتساع الفتوحات وركون المسلمين إلى حياة الترف والبذخ مما ولد نفورا من تلك الحياة المادية والاتجاه نحو الزهد والانقطاع للعبادة، ولشيوع العقيدة الفاسدة في بعض أقطار العالم الإسلامي الكبير[٩].

والإسلام الأمازيغي إسلام يقوم في غالبيته على التصوف الذي احتضنته الزوايا المنتشرة بكثرة في منطقة المغرب الأمازيغي، أو ما يسمى بـ''تامازغا''، ويتضح ذلك جليا في منطقة القبائل الصغرى والكبرى بالجزائر.

واعتماد منهج الإسلام التصوفي لدى الأمازيغ، هو محاولة منهم لدفع العقيدة نحو السمو ونحو العلاقة الفردية بين الفرد والإله، وإبقاء تدبير الشأن الحياتي الفلاحي والتجاري والاقتصادي والاجتماعي متماهيًا مع العادات والتقاليد الحضارية العريقة التي عرفها المجتمع الأمازيغي. وبهذا التوطين العقدي استطاع الإسلام الأمازيغي أن يوازن ما بين الروحاني والاجتماعي، بين التعبدي والسلوكي، بين اللاهوتي والناسوتي.

ولعل تمركز الإسلام الأمازيغي في الزوايا واقتصاره بشكل واضح على الروحانيات والتعبد، هو ما جعل الأمازيغ بشكل عام يحافظون على فنونهم، وطرق عيشهم إلى حد كبير(١٠).

المبحث الثالث: جهود علماء الأمازيغ المتعلقة بوسائل الدعوة

نهج علماء الأمازيغ العديد من الوسائل الدعوية في الدعوة إلى الله تعالى، وكانت تقوم الوسائل على الكتب والتأليف، أو من خلال المساجد، أو الزوايا الصوفية.

أولًا: تأليف الكتب: فقد ساهم علماء الأمازيغ في التأليف والكتابة والتصنيف في العديد من الفنون، في الفقه، والتفسير، والحديث، وعلوم القرآن، والتصوف، وغيرها.

ومن أتقن تجويده بالأندلس عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري، واختص العالم سهل بن إبراهيم بن سهل بمعاني القرآن(١١)، وغالبا ما كان القراء يجمعون بين علم القراءات وعلم التفسير وأحكامه ووجوهه في حلاله وحرامه(١٢).

أما علم الحديث فقد سعى إليه الساعون، وتنافس فيه ذوو النباهة والفضل، من الطلبة الجادين باعتباره الكاشف عن وجوه مجملات الكتاب والمفصل لإحكامه، والمبين لغامضه، غير أن عناية أهل الأندلس بعلم الحديث ازدهر مع نهاية القرن (٢هـ/٨م) ومطلع القرن (٣هـ/٩م) على يد حفاظ المحدثين بقي بن مخلد الذي رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة الذين يزيدون على المائتين ورجع إلى الأندلس فملأها علما جما(١٣).

ثانيًا: المسجد والمدارس:

كان للمدارس التي انتشرت في المغرب والأندلس دور كبير في أزدهار الحركة العلمية في هذا العصر، وقد تنوعت هذه المؤسسات واختلفت أشكالها بين المسجد والكتاب والمدرسة. فالمسجد هو المركز الرئيس لنشر الثقافة العربية الإسلامية كون الدراسات الإسلامية في بدء منشئها كانت دينية، تهدف إلى شرح تعاليم الدين الجديد فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهدًا للتعليم، ومركزا تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية والمدنية"، ولأجل هذا تسابق ولاة الأمور في بناء المساجد وتفننوا في إبداع،عمارتها وأحاطوها بكل عناية، وكانت من أعظم المساجد التي تقام فيها حلقات العلم، جامع القرويين في فاس، وجامع الزيتونة في تونس والمسجد الأعظم في غرناطة وغيرها من المساجد في الحواضر التي قامت كتلمسان وبجاية و مراكش وسبتة والمهدية(١٤).

ثالثًا: الزوايا: كانت للزاوية سواء في الريف أم المدن أوقاف، تستعمل في صيانة الزاوية وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ. كما أن الزاوية الريفية عادة ما يقدم إليها مسلمو الناحية جزءا معينا من انتاجهم الفلاحي السنوي. فالزاوية بالنسبة إلى سكان الناحية كانت على غاية كبيرة من الأهمية. فدور الزاوية كان يشتمل على مبيت الطلبة الداخليين ومساكن الغرباء والفقراء، وقد اشتهرت بعض الزوايا حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة.(١٥)

كذلك قامت الزوايا والأربطة بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وقد ورد في إحدى الفتاوى أن بعض الصالحين كانوا يسهمون في تأمين السبل حيث يقيمون في المواضع المخوفة التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد وقطاع الطرق الذين يهاجمون القوافل والتجار لأجل النهب والسرقة.(١٦)

رابعًا: الرحلات العلمية: كان للرحلة العلمية التي نشطت بين ضفتي البحر في الأندلس والمغرب، وبين بلاد المغرب والأندلس وبلاد المشرق، كان لها فضل كبير في انتقال العلوم وانتشارها، وائتلاف العلماء واختلافهم مما حرض على التفنن والإجادة في طلب العلم، وقد كان لظروف السياسة يد في تشجيع العلماء والأدباء والمؤرخين؛ حيث «كانت الرحلات من التقاليد المصطفاة عند علماء الإسلام وكان لها فضل عظيم في صقل العقول»(١٧).

المبحث الرابع: خصائص المنهج الدعوي لدى علماء الأمازيغ والاستفادة منه

يتسم المنهج الدعوي للعلماء الأمازيغ بعدة خصائص، من أهمها ما يلي:

أولًا: مخاطبة الروح: فكما سبق أن الإسلام الأمازيغي يقوم في أغلبه على التصوف، والذي مداره الروح قبل الجسد، وهه الخاصية كانت سبب في دخول البربر الأمازيغ إلى الدين الإسلامي فور الفتح الإسلامي، فالأمازيغ أقبلوا على الإسلام لا خوفًا من السيف بل رغبة في هذا الدين الذي عمل على تغيير الروح إلى الأفضل.

كما أن البيئة الأمازيغية "احتضنت إحدى أكثر مدارس التصوف الإسلامي انتشارا وعمقا وأهمية، ويكفي أن نعرف أن نصف رواد التصوف وأئمته الكبار في العالم كانوا من الغرب الإسلامي، أو الشمال إفريقي. أبو مدين الذي يقال له شيخ الشيوخ كان أشقر أزرق العينين. أبو يعزى لم يكن يعرف من العربية شيئا.. حتى الصوفية المغاربيون المنتمون لآل البيت (عبد السلام بن مشيش العلمي والشاذلي والبدوي والقنائي وأحمد بن إدريس) كانوا أمازيغ أيضا، إما من أمهاتهم أو من ثقافتهم، إذ كان كثير منهم يتحدث بالأمازيغية"(١٨).

ثانيًا: الوسيطة والاعتدال: قام صوفية المغرب بجهود عظيمة في نشر الإسلام منذ القرون الأولى من عمر الإسلام إلى تاريخنا الحديث(١٩)؛ حيث رفعوا راية الدين، ودعوا إليه بصدق وإخلاص، ودافعوا عنه بكل وسيلة، فأينما حلوا كانوا يشيدون الربط والزوايا لنشر الدين والعلم ورعاية الفضيلة(٢٠)، وهم ينشرون الإسلام بأساليب سلمية كالتجارة والتعليم، ويرسلون النجباء من

تلامذتهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان، وجامع القرويين بفاس، والجامع الأزهر بمصر وغيرها(٢١).

*** أوجه الاستفادة من المنهج الدعوي:**

أولا: توظيف هذا الجهود توظيفا جيدا في خدمة الإسلام، فالأمازيغية خدمت الإسلام على أيدي السوسيين خدمة جليلة كما خُدمت العربية على أيديهم فألّفوا بالعربية والأمازيغية أيضا كالمهدي بن تومرت، و أكبيل الهوزالي، والحاج علي الدرقاوي، وغيرهم. وكانت الأمازيغية والعربية في السوس وفي المغرب عامة في انسجام وتعاون وتفاهم ووئام، ولم تعرفا عبر التاريخ المشترك الجميل ما يوحي بسوء تفاهم فضلا عن التلاوم والتدافع والصراع.

ثانيًا: الاستفادة من المؤسسات الدعوية المتمثلة في الزوايا الصوفية، حيث قامت الزاوية بدور هام وموسع في العهد المريني، حيث ساهمت بالدور العلمي إلى جانب المساجد والمدارس، فكانت تقصد الزاوية لتلاوة القرآن الكريم ودراسة كتاب الشفا وكذلك مدح النبي ﷺ بقصائد شعرية، وتعليم الصبية.

فكانت بذلك الزاوية مركزا ثقافيا علما إشعاعيا تشد إليه الرحال من رجال العلم وطلبته من مختلف أنحاء المغرب. وجاء انتشار علماء الصوفية في مدن المغرب الأقصى، وتنقلهم بينها، إلى جانب المدارس التي أنشأها المرينيون، فرصة عظيمة لإذكاء الحركة الفكرية في المغرب الأقصى –مهد الدولة المرينية– وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة في أرياف المغرب الأقصى وباديه.(٢٢)

خاتمة

بعد هذه الرحلة المستفيضة، كان لابد من تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي كالتالي:

١. إن الفتح الاسلامي في بلاد المغرب كان طويل الأمد، صعبا عكس تماما ما حدث في الأقاليم المشرقية، إذ إستلزم الأمر أكثر من خميسن عاما تكبد فيها

٢. إقبال الأمازيغ في مجملهم في النهاية على إعتناق الإسلام، لنتيجة تعتبر مذهلة، حيث لم يلاحظ هذا الإقبال في أي إقليم مر به الفتح الاسلامي ، ومنه لم تبقى فيهم أقلية مسيحية رغم أنهم كانوا يدينون بها

٣. برز كثير من العلماء الأمازيغ ليس فقط في المغرب الأوسط أو المغرب الكبير، بل وذاع صيتهم في المشرق العربي حيث تولى بعضهم التدريس والقضاء في الشام ومصر بصفة خاصة.

٤. كان للوقف الإسلامي دورًا كبيرا في إعداد الدعاة، ولعل جوهرة الأوقاف في الغرب الإسلامي هو جامع القرويين، الذي يعد من أقدم أوقاف نساء المغرب الإسلامي.

٥. اتسمت بلاد المغرب العربي بالمنهج الصوفي، وهو منهج عقدي في الأصل، ولكنه يدعو إلى التحلي بالأخلاق الكريمة التي جاء بها الإسلام.

٦. نهج علماء الأمازيغ العديد من الوسائل الدعوية في الدعوة إلى الله تعالى، وكانت تقوم الوسائل على الكتب والتأليف، أو من خلال المساجد، أو الزوايا الصوفية.

٧. ساهم علماء الأمازيغ في التأليف والكتابة والتصنيف في العديد من الفنون، في الفقه، والتفسير، والحديث، وعلوم القرآن، والتصوف، وغيرها.

٨. قامت الزوايا والأربطة بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار.

الهوامش:

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٥١٩/١٠، وتاريخ الإسلام ووفيات المشـــاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ٩٧٢/٥.

(٢) انظر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، إسماعيل بن يوسـف بن محمد بن نصـر الخزرجي الأنصـاري النصـري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (ت ٨٠٧هـــ)، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـــ - ١٩٧٦ م، ص٤٥٣، النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسـني (ت ١٤٠٩ هـــ)، طبعة النخب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ، ٢١٠/١.

(٣) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٧٧/٢٤.

(٤) انظر: جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، التازي، سلسلة أبحاث وأعلام، رقم ٥، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦ م.

(٥) تاريخ ابن خلدون ١٠٥/٦.

(٦) السـلفية وأعلامها في موريتانيا "بلاد شـنقيط"، الشـيخ الطيب بن عمر بن الحسـين، ص:١٢٣-١٢٤، ط١، دار ابن حزم بيروت ١٩٩٥.

(٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب المقري تحقيق إحسـان عباس، دار صـادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ج١، ص٢٢١ج١، ص٢٢١.

(٨) ليفي بروفنسـال حضـارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان، قرقوط دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص٤٣.

(٩) ينظر: الطرق الصـوفية والاسـتعمار الفرنسـي بالبلاد التونسـية، التليلي لعجيلي، (١٨٨١_١٩٣٩)، المجلد ٢، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٢م، ص٢٧.

(١٠) ينظر: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، ص٢٨.

(١١) تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي، المكتبة الأندلسية، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص١٦١.

(١٢) المصدر السابق، الزبيدي، ص٢٩٥.

(١٣) المصدر السابق، الحميدي، ص ١٧٦.

(١٤) مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، جمال أحمد طه، دار الوفاء الاسكندرية ط١، سنة ٢٠٠٢، ص ٢٧٢ بتصرف.

(١٥) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة:١ سنة:١٩٩٨. ج/١ ص:٦٦–٦٨.

(١٦) جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية ص١١١.

(١٧) التصوف الإسلامي، زكي مبارك ١/١٢٤.

(١٨) التّصوف.. 'حصن' المغاربيين ضد الاستعمار والتطرف:

https://www.maghrebvoices.com/./٠٨/٢٠١٨

(١٩) التصوف والجهاد من خلال طنجة، أحمد ابن سودة، ضمن مختارات للأستاذ أحمد لبن سودة جمعها عبد الحي حسن العمراني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ط١، ١٩٩١، ص٨. السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر، دمشق، ط:٢، ١٩٩٩، ص٧.

(٢٠) التصوف والجهاد من خلال طنجة، أحمد ابن سودة، مرجع سابق، ص: ٩.

(٢١) المرجع السابق، ص: ١٣.

(٢٢) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، محمد عيسى الحريري دار القلم للنشر والتوزيع الكويت الطبعة:٢ سنة: ١٩٨٧.ص:٣٥٧.

المراجع والمصادر

١. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد –فتحا– ابن سودة (ت ١٤٠٠هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٢. الأحباس ودورها في تنمية المؤسسات التعليمية بالمغرب المريني والسعدي القرنان الثامن والتاسع الهجري، محمد الشريف جامعة عبد الملك السعدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان المغرب.

٣. أخبار الفقهاء والمحدثين، الخشني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤. اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار، محمد بن قاسم الأنصاري السبتي، تحقيق: عبد الوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٦م.

٥. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٦. الإشارة إلى أدب الإمارة، المرادي (أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني)، تح: رضوان السيد، دار الطليعة بيروت. ط١.

٧. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (ت ٨٠٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م.

٨. الأمازيغية وإشكالية الهوية، عزمي زكريا أبو العز، مجلة هرمس م٢، ع٢، ٢٠١٣م.

٩. الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة:دراسة مقارنة لحالات الجزائر، تونس، المغرب: صفية نزاري, رسالة ماجستير كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر باتنة , الجزائر عام ٢٠١٠ ـ ٢٠١١م.

١٠. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، إبن أبي زرع.

١١. أيام الأمازيغ، أضواء على التاريخ السياسي الإسلامي، نهى الزيني، (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠١٢م، ص١٢.

١٢. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ.

١٣. بعض الرواد الأوائل الذين ثبتوا مبادئ الفقه المالكي بالمغرب، أ. عبد العلي العبودي، من أشغال الندوة الأكاديمية الدولية حول: ''المذهب المالكي في المغرب ''من الموطأ إلى المدونة المنعقدة أيام ٢٦–٢٨ مارس ٢٠٠٨، فاس– المغرب.

١٤. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥. البلاذري، فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري, عنى بمراجعته رضوان محمد رضوان , دار الكتب العلمية , بيروت, ١٩٧٨م.

١٦. البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي: ابو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة٧١٢هـ), نشر كولان وليفي بروفنسال , ليدن ,١٩٤٨.

١٧. البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد(كان حياً سنة٧١٢هـ)، نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن، ١٩٤٨م.

١٨. تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاته، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٢م.

١٩. تاريخ افريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ابو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت٤١٧هـ), تحقيق المنجى الكعبي , تونس ,١٩٦٨م.

٢٠. تاريخ أقريقيا الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م، شارل اندريه جوليان، ترجمة: محمد مزال، والبشير بن سلامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٢١. تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١.

٢٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٣. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، محمد مرسي الشيخ دار المعرفة، دط، الإسكندرية، ١٩٩٣.

٢٤. تاريخ التعليم بالمغرب، الحسين إسكان، ٨٢، ومؤسسة الأوقاف وأهميتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بمدينة فاس، السعيد لمليح، مجلة دعوة الحق، ع ٣٦٣، ٢٠٠٢ م.

٢٥. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة:١ سنة:١٩٩٨م.

٢٦. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية أبو عبد الله محمد الزركشي، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

٢٧. التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح، عبد اللطيف محمود البر غوثي، د.ت، د.ط، د.ت.

٢٨. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، محمد عيسى الحريري دار القلم للنشر والتوزيع الكويت الطبعة:٢ سنة: ١٩٨٧م.

٢٩. تاريخ المغرب العربي، خليل السامرائي, مديرية دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل,١٩٨٨م.

٣٠. تاريخ المغرب العربي، سعد زغلول، , الاسكندرية (ب. ت).

٣١. تاريخ المغرب العربي، سعد عبد الحميد زغلول، الأسكندرية.

٣٢. تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، معهد الحياة، الجزائر، ١٩٦٣م.

٣٣. تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣٤. تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي، المكتبة الأندلسية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٥. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٩٨١-١٩٨٣م.

٣٦. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي يعقوب السبتي، أحمد التوفيق،''تحقيق''، ص: ١٠٦، منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٤.

٣٧. التصوف السني بالمغرب مقدمات في الفهم والتأصيل، محمد البركة: سلسلة التصوف السني في تاريخ المغرب، مجموعة من المؤلفين، منشورات الزمن، ٢٠١٠م.

٣٨. التصوف المغربي وتاريخه، محمد علي بن الصديق، مجلة دعوة الحق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط: العدد:٢٨٥ سنة:٣٢ غشت ١٩٩١.

٣٩. التصوف والجهاد من خلال طنجة، أحمد ابن سودة، ضمن مختارات للأستاذ أحمد لبن سودة جمعها عبد الحي حسن العمراني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ط١، ١٩٩١.

٤٠. التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤١. ثقافة الوسطية في التصوف السني بالمغرب"، ضمن كتاب: التصوف السني بالمغرب، مجموعة من المؤلفين، سلسلة شرفات، رقم ٢٧ء منشورات الزمن، الطبعة الثانية.

٤٢. جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، التازي، سلسلة أبحاث وأعلام، رقم ٥، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦ م.

٤٣. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٤. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ)، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٥. الجزائر بين الماضي والحاضر، أندري برنيان وأندري نوشي وإيف لاكوست، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور.

٤٦. جهود الشيخ الألباني في الدعوة إلى الله تعالى، عبد الرحمن بن سيف الحارثي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ.

٤٧. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، كمال سيد أبو المصطفى مركز الإسكندرية للكتاب القاهرة (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٩٦.